دور الاسرة في التنشئة الاجتماعية المحاضرة الرابعة

ان الاسرة هي النظام الاول في تنشئة الطفل اجتماعيا ، تحويله الى كائن اجتماعي . فعن طريق معاملتها تتكون شخصية الطفل السوية وغير السوية ولاتجاهات الاباء نحو الابناء وعلاقتهم بهم له الاثر في التنشئة الاجتماعية . فاضطرابات الشخصية لا تعود الى مجرد طريقة معاملة الطفل وانما يعود ايضا الى الجو الذي يسود المنزل ونوع الخبرات التي اكتسبها في تفاعله مع والديه .. من العوامل . ومن هذا نستنتج ان المجال الذي ينشا فيه الطفل يؤثر تأثيرا كبيرا في نموه. فالعوامل البيئية والثقافية للأسرة تشكل سلوكه وشخصيته عن طريق عملية التطبيع الاجتماعي فسلوكه يرتبط تدريجيا بالمعاني التي تتكون عنده من المواقف التي يتفاعل معها . فالطفل يولد ضمن جماعة قد حددت معاني معظم المواقف التي تواجهه وكونت لنفسها قواعد مناسبة للسلوك فعملية التطبيع الاجتماعي للطفل تمر بمراحل عدة ففي المرحلة الاولى يتكيف الطفل لمطالب جسمه وحاجاته البايولوجية ،والظروف البيئية المحيطة به. وفي هذه المرحلة يتقبل المعاني التي حددها الكبار للمواقف التي يمر بها وتتحدد بالتدريج بعض انماطه السلوكية نتيجة لما يترتب على استجاباته من نتائج فيتعلم بالتدريج ان يستبعد بعض الانماط السلوكية التي لا تؤدي الى اشباع حاجاته البايولوجية . وقد يتعرض الطفل للصراع عندما تتغير العلاقات المرتبطة بإشباع حاجاته البايولوجية والتي يستجيب لها الطفل كتغيير مفاجئ كما يحدث عند الفطام الذي يرتبط بنواحي نفسية تتعلق بالشعور بالعطف والحنان والطمأنينة . فاذا كانت طريقة الفطام قاسية ستترك اثار نفسية عميقة في الطفل قد يكون لها في المستقبل وليس غريبا ان يشعر الطفل بقلق دائم لا يعرف مصدره او يعوض عن الثدي بمص اصبعه وقضم اظافره. وتتفق الآراء على ضرورة اتمام عملية الفطام بالتدرج. ولا باس من اتمام عملية الفطام في نهاية العام الاول على ان تراع الفروق الفردية بين الاطفال والحالة الصحية لكل طفل . كما تتكون البذور الاولى للأمراض النفسية كما بينته الدراسات الكلينيكية ترجع الى ما يتعرض له الطفل من صراع حاد في مواقف الحياة منذ الطفولة وقد يحدث هذا نتيجة لتذبذب الكبار في معاملة الطفل للموقف الواحد مما يعيق الطفل عن تكوين توقعات مستقرة بالنسبة للعلاقات التي يستجيب لها . فيرى العلماء ان العادات المتبعة في تنشئة الطفل بما فيها من شدة او لين تطبع هؤلاء الاطفال بطباع يميزهم عن بعضهم في الكبر .. وهكذا يكتسب الطفل اتجاهات الكبار نحو المواقف التي يتعرض لها اي ان معاني المواقف تتضمن المعاني التي ترتبط باتجاهات الاباء حيال سلوكه، وبالتدريج يتعود الطفل ان يسلك في غيبة الاباء كما يسلك في وجودهما وكلما نمى الطفل حركيا ولغويا واجتماعيا وعقليا وانفعاليا عبر سنوات طفولته سيدرك ذاته عن طريق تبنيه لاتجاهات الغير نحوه اي بتحديد علاقاته بغيره اثناء تفاعله وتكشف الينا الدراسات ذلك عن طريق ملاحظة الاطفال في لعبهم . ان الذات نتاج اجتماعي تشكل نتيجة تفاعل الطفل في البيئة الاجتماعية الاولى اي الاسرة .

ويعمل الطفل على توطيد مركزه في المجتمع الذي يحيط به فيجد ان اهم الناس حوله هم اعضاء اسرته . ويدرك ان والديه هما العضوان الرئيسان في مجتمع الاسرة وهما مبعث الرضاء والارتياح كما انهما مصدر الزجر والتحريم . ومن هنا تصبح عواطفه نحوهما مزيجا من الرضا ومن الاحتجاج .

ويحاول كل طفل ان يظفر بمكانة مرموقة عند ابويه. ومن اجل هذا نجده يظهر الغيرة من اخواته واخوانه. والغيرة او المنافسة امر طبيعي بين الاخوة وعلى الاباء ان يوطدوا انفسهم على تقبل هذا الامر . ان قيام الاسرة بعملية التنشئة الاجتماعية لإدماج الطفل في الاطار الثقافي العام وتعليمه نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب اليه. وتدريبه على طريقة التفكير السائد فيه وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه. فينشا

منذ طفولته في جو ملئ بهذه الافكار والمعتقدات والقيم والاساليب . فلا يستطيع التخلص منها لأنه لا يعرف غيرها بعد ان اصبحت من مكونات شخصيته .
ويرى العلماء ان التنشئة الاجتماعية تستغرق السبع او الثمان سنوات الاولى من حياة الطفل . اما عملية تربية الطفل فيما يلي ذلك من مراحل حياته فيفضلون تسميتها (التثقيف) اي تعليم الطفل طرق وعادات ثقافية . ويمكن تلخيص مظاهر التنشئة الاجتماعية في الخمس سنوات الاولى فيما يأتي :

1-تعلم الطفل تناول الاطعمة الجافة

2-تعلم المشي

3-تعلم ضبط حركة المعدة

4-تعلم الحياء الجنسي

5-فهم العالم المادي في البيئة المباشرة في المنزل والشارع .

6-التمييز بين ما هو صواب وما هو خطا

7-تعلم السلوك المناسب مع الاخوة ومع الكبار

اما ما بعد السنوات الخمس الاولى فتتلخص مظاهر التنشئة الى ما يأتي :-

1-تعلم العناية بالنفس كالاستحمام وارتداء الملابس دون مساعدة

2-اكتساب بعض المهارات في اللعب

3-معرفة الدور الجنسي ، فيسلك الولد كذكر والبنت كأنثى

4-تعلم التعامل مع الغير ممن هم في نفس السن

5-تعلم القراءة والكتابة والحساب

6-فهم ضرورات الحياة اليومية

7-تكوين بعض القيم

8-تكوين اتجاهات نفسية نحو الاسرة والمدرسة والدين والدولة وما الى ذلك

9-التحكم في الانفعالات والعواطف

10-تكوين اتجاهات سليمة نحو النفس .

ولعل اهم ما تعطيه الاسرة للطفل هو تحديد دوره في ثقافته تبعا لجنسه وسنه ومستواه الاجتماعي والاقتصادي . وتحديد مركزه واعطائه فكرة عن نفسه ففيما يتعلق بتحديد الدور فالثقافة هي التي تحدد الدور العام للطفل كذكر وكأنثى . فيعد الطفل منذ اللحظات الاولى للولادة لدوره كرجل وكامرأة فيدرب كل منهم على اسلوب معين في الحياة اي يتعلم دوره فيها، ويتحدد هذا بسن الطفل وجنسه ويطلق على ذلك بعملية التنميط الجنسي اي اصطناع المعتقدات واوجه النشاط التي تحكم الحضارة التي ينشا فيها الطفل . وبانها مناسبة للجنس الذي ينتمي اليه ، ذلك للاعتقاد الشائع بانه لا بد وان يختلف الاولاد من البنات في السلوك غير ان هذه المعتقدات حول الخلاف بين الجنسين قد تكون ظاهرة احيانا وغير ظاهرة احيانا اخرى . ومن الطبيعي ان الاباء يتفاوتون فيما بينهم من حيث اتجاهاتهم نحو سلوك ابنائهم وهل هي خاصة للبنات او للبنين ، ولكن بصفة خاصة ينظر الى بعض صفات السلوك كالعدوان البدني والسيطرة والتخريب والعنا والميل الى المشاجرة والغضب والاستقلال بانها سمات تخص البنين والخوف والاتكالية والنظام والترتيب هي من صفات البنات وهكذا فهذه الاتجاهات المنمطة جنسيا قد تنتقل من جيل الى اخر بشيء من التغيير في المحتوى لقد قام طلاب احد الجامعات بدراسة حول مفهوم (الولد والبنت) من حيث شمولها ببعض الصفات ، فظهر ان الاولاد يوصفون بانهم اكثر حظا من البنات من حيث التمتع بالصفات الاتية : القسوة ، القوة ، الاهمية الايجابية . وهذا يبين ان طلاب الجامعة وهو اباء المستقبل يتوقعون من الولد توقعات محددة تختلف عن توقعاتهم من البنت . ولهذا فمن المحتمل ان طلاب الجامعة التي اجريت عليهم الدراسة وبعد ان يصبحوا اباء سوف يقومون بإثابة ومعاقبة اطفالهم بحسب توقعاتهم التي كشفوا عنها في الدراسة . حيث انهم سيتقبلون العدوان بدرجة اكبر من ابنائهم عن بناتهم ، وسيتوقعون كذلك ان سلوك اولادهم سيتم بالاستقلال والاعتماد على النفس . ويزداد تفضيل اوجه النشاط التي تناسب جنس الفرد خلال سنوات ما قبل المدرسة . حيث ان اطفال الرابعة يظهرون قدرا اكبر من التفضيل لأوجه النشاط التي تتناسب مع جنسهم مما يفعل الاطفال في سن الثالثة .

ولتعلم انواع السلوك المتفقة مع الدور الجنسي للفرد ونتائجه المتوقعة في مرحلة الرشد . فالأولاد يتوقع منهم ان يكونوا اشجع واقوى واقل انفعالية من البنات . ولهذا فليس من المستغرب ان نجد مفهوم الذات عند الراشدين من الرجال والنساء متفقا مع هذا التعلم المبكر . فقد قدمت الى مجموعة كبيرة من الشباب قائمة من الصفات وطلب اليهم ان يتخيروا منها الصفات التي يرون انها اقل الصفات انطباقا عليهم فبين ان البنات بالمقارنة الى الاولاد يشعرن بانهن اقل كفاءة واكثر اهمالا واكثر خوفا واقل نضجا ، والحقيقة ان اتجاهات الراشدين نحو انفسهم هذه تعود الى حد ما الى ما يغرس في الولد والبنت في فترة ما قبل المدرسة من اتجاهات وخصائص تتناسب مع الجنس الذي ينتمون اليه والى عملية التنميط الجنسي التي اكتسب عن طريقها تلك الانواع من السلوك وذلك عن طريق الخوف من العقاب او النبذ بسبب السلوك غير المناسب وكذلك عن طريق التوحد او التقمص للاب مثلا او مع بديل الاب او مع ذات مثالية متخلية وهذا ينطبق على الام ايضا. او عن طريق الرغبة في المدح والتقبل من جانب الابوين والاقران ورضاهم عن انواع السلوك المنمط جنسيا .

ان الطفل سينتقل من بيئته الاولى وهي الاسرة التي اكتسب فيها انواع مختلفة من السلوك عن طريق التنشئة الاجتماعية الى بيئة او بيئات اخرى ثانوية تختلف فيهما علاقات الطفل عن تلك العلاقات التي كونها في بيئته الاولى ومن بين هذه البيئات المدرسة والنوادي والجمعيات .